البحث عن الآثار المصرية (١)

وسائل الدرة وقصر منف

تمهيد

ايعلم الفلاح وهو يحرث حقله او يشق قطعة ويرى امامهُ كتلة من الخزف او قطعة من النقود ان تحت قدميهِ ارضاً حرثها او عزقها فلاح آخر قبله منذ قرون كثيرة. او ان تحت قدميهِ آثار قرية سكنها اقوام مختلفون منذ الوف من السنين. او انقاض مدينة من مدن الاقدمين ولا تزال آثار بيوتها وشوارعها مطمورة في الارض وقد توجد فيها بعض امتعة سكانها التي تركوها فيها لما اجتاح العدو مدينتهم وحرقها او هدمها وانه حفر في ارض بيوتها فقد يجد فيها جرة تحوي قرطاساً كتب فيهِ صاحبهُ حجة ارضهِ او حساب تجارته

قلما تجد فداناً من اطيان القطر المصري وليس فيهِ شيء من آثار العمران القديم وقد نُبش كثير من هذه الآثار فامتلأ بهِ المتحف المصري وبعض الكثير منهُ متاحف اوربا واميركا وقصور كثيرين من الامراء والكبراء. ولكن هذه الآثار على ما فيها من الغرابة ودقة الصنعة ضاعت اكثر فائدتها العلمية لانهُ لا يُعلم المكان الذي نبشت منهُ بالضبط ولذلك لا يُعرف شيء كثير عن احوال العمران المصري القديم مع كثرة ما وجد من آثاره وسبب ذلك ان اكثر المغرمين بنبش جذه الآثار وجمعها وافتنائها اكتفوا بالنظر الى اشكالها ولم يلتفتوا الى دلالتها التاريخية

لما اهتمت المتاحف المختلفة بالبحث عن الآثار المصرية كان المنتظر انها تتلافى الخطأ الذي وقع فيهِ غيرها ولكن الباحثين الاولين من رجالها لم يتلافوا ذلك ولا يزال هم البعض منهم الاكتفاء من الآثار لكي يملأوا بها متاحفهم غير ملتفتين الى ما يجمع بينها للاستدلال على احوال العمران المصري القديم بكل تفاصيلهِ. وهذا لا يصدق على كل الباحثين من قبل المتاحف لان بعضهم بذلوا جهدهم في مراعاة ذلك ولكنهم قصّروا في تدوين ما يتعلق بالآثار التي اكتشفوها إما لانهم لم يجروا على اسلوب منتظم في تدوين كل شيء او لانهم لم يجروا على اسلوب منتظم

(١) ترجمت مقالة الكاتبة لسترکارس عن Lucuce S. Fisher

في تدوينه . ومن يسر ما يجب الالتفات اليه فيما يختص في خدمة العلم في الزمن الحاضر وفي امتداد كل ما يطلب استناده لعلماء العصور المقبلة لانهم قد يكونون اقدر منا على فهم دلالته . وذلك يجب علينا تدوين كل شيء سواء فهمنا دلالته او لم نفهمها اذ قد يأتي بعدنا من لا يتعذر عليه فهمها . وعلى هذا الاساس بُني البحث الحديث عن الآثار المصرية والفضل فيه لعلماء اميركا . فان الاميركيين مشهورون بتدقيقهم في اعمالهم . وقد جرى الباحثون منهم عن العاديات اي الآثار القديمة هذا المجرى من التدقيق فصار التنقيب عن الآثار اسلوباً علمياً يجري الباحثون فيه على طريقة منظمة توضع قبل الشروع في العمل ولا يترك امر من الامور التي تقتضي تحت عين الباحث الا درسها امامه . مثال ذلك ما فعله الباحثون من قسم متحف جامعة بنسلفانيا في مدافن الجيزة وندرة مدة السنوات الاربع الاخيرة مع ان اكثر اهتمامهم كان البحث عن آثار منف (ميت رهينه) كما سيجيء

مدافن وندرة

في وندرة اوسع مدافن الصعيد القديمة فهي تشغل مساحة واسعة من الارض . وكثيراً ما نبشت للتنقيب عما فيها من العاديات (الانتيكات) فكان العمال يأتونها في الصباح فيقفون حيث يظنون انهم يجدون قبوراً قديمة فيحفرون ويُطلون في المساء اجرة مناسبة لما وجدوه فكان همهم الاكبر ان يجدوا شيئاً يجازون عليه . فلما اتى الباحثون من جامعة بنسلفانيا رسموا الارض التي يراد الحفر فيها وقسموها الى مربعات طول كل مربع منها ٢٠٠ متر وعرضه ١٨٠ متراً ووضعوا لها اعداداً متسلسلة ثم قسموا كل مربع منها الى تسعين مربعاً صغيراً كل واحد منها عشرون متراً طولاً في مثلها عرضاً ووضعوا لكل مربع عدداً مركباً من ثلاثة منازل هكذا ١٠٠١ و١٠٠٢ و١٠٠٣ . وهلم جرّا الى ٩٠٠ وتركوا لارقام المفردة لعدد القبور التي توجد في كل مربع . ورسموا للارض خريطة على قياس معلوم وشرعوا في التنقيب من احد جوانبها فنقبوها متراً متراً ولم ينتقلوا من متر الا بعد ما رأوا كل ما فيه ودونوا كل ذلك ووضعوا له اعداداً تدل عليه وعلى المربع الذي هو فيه

ويستنتج مما اكتشفوه ان القبور كانت في اول الامر مجتمعة بجانبي وان القديمة منها كانت تهدم وتندثر ثم يبنى مكانها قبور جديدة . وقد يترك قبر قديم في مكانه صدفة . فاذا قبر قديم من قبور الدور الاول وجد بين قبور الدولة التاسعة من

جهة وبين قبر احداث منها منقور في الصخر وهو على ١٥ سنتيمتراً منهُ فقط. والظاهر ان الذين بنوا القبور الحديثة لم ينتبهوا لوجود هذا القبر القديم في جوارها

ومما تمتاز به مقبرة دندرة المصاطب الكبيرة المبنية بالطوب والقبور القديمة المجتمعة بجامع كما تقدم وهي من العصر الذي بين الدول المصرية القديمة والدول الوسطى. اما المصاطب فيمتد تاريخها من الدولة الثالثة الى الدولة الحادية عشرة (اي من سنة ٣٣٠٠ الى سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح) ومنها ترى كيفية الارتقاء في عمل هذه القبور. والقبور المتجمعة قلما يعلم شيء من احوال العصر الذي وجدت فيه وهي كثيرة غلاً اكثر المقبرة وتختلف بعض الاختلاف في تجاهها وشكل وضع الميت فيها. ويظهر ان اكثرها لبس قبلاً ونهب ما فيه ولعل الذين كانوا يدفنون الموتى هم الذين كانوا ينهبون امتعتهم بعد دفنهم

والظاهر ان عصر هذه القبور كان عصر اضطراب في البلاد ولكنهُ كان قصير المدة. وقد يكون في المجموع منها حفرة واحدة وقد يكون فيهِ حفر كثيرة في صف واحد وكل مجموع لعائلة واحدة. وكان اصحاب كل مجموع يختارون قطعة من الارض يبنون حولها سوراً من الطوب وكلما ارادوا دفن واحد من موتاهم حفروا لهُ حفرة في الصخر كالبئر عمقها من مترين الى ستة امتار ثم يحفرون في احد جوانبها غرفة صغيرة يضعون فيها تابوت الميت وهو من الخشب المطلي بالجبس. فاذا كان الدفين امرأة وضعوا معها في تابوتها مرآتها وهي من البرنز ومكحلتها وعقدها ودماليجها. واذا كان رجلاً دفنوهُ في تابوت مثل تابوت المرأة ووضعوا معهُ سيفهُ وقاسهُ ووضعوا في الغرفة حول التابوت قوارير مختلفة الاقدار وكان الاقدمون يضعون فيها طعاماً للميت اما اصحاب هذه القبور فكانوا يملأونها تراباً وحجارة ويسدونها بالطين سدّاً محكماً. ويسدون باب الغرفة بالطوب ثم يضربون الحفرة كلها ويبنون فوقها بناء من الطوب في جانبهِ الشرقي كرة فيجتمع اقرب الميت في بعض الاعياد ويزورون القبر ويقدمون لهُ تقدمةً يضعونها في تلك الكرة. وقد تستعمل الحفرة الواحدة لميت آخر فتحفر غرفتهُ امام الغرفة الاولى وقد تستعمل لميت ثالث تحفر غرفتهُ فوق غرفة سفلى

وقد ينصب حجر امام الكرة يكتب عليهِ اسم الميت وصلاة وجيزة يصليها وتحفر فيهِ حفرة صغيرة كالحوض توضع فيها تقدمة تقدم لهُ. ومن هذه القبور

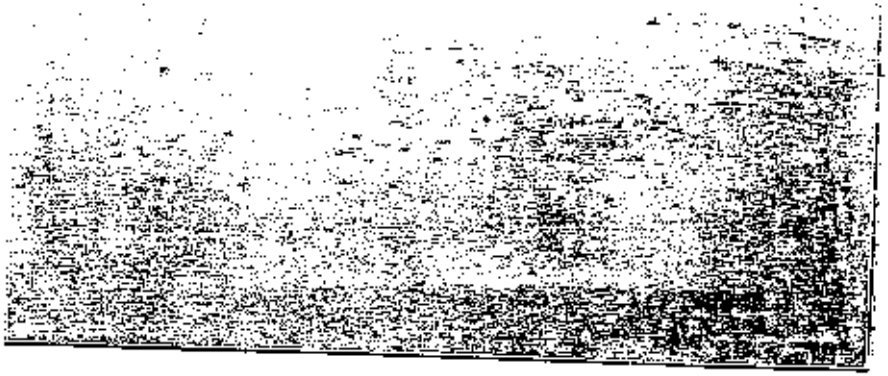

مسلة الامير ادو في مدافن دندره (٢٦٠٠ قبل المسيح)

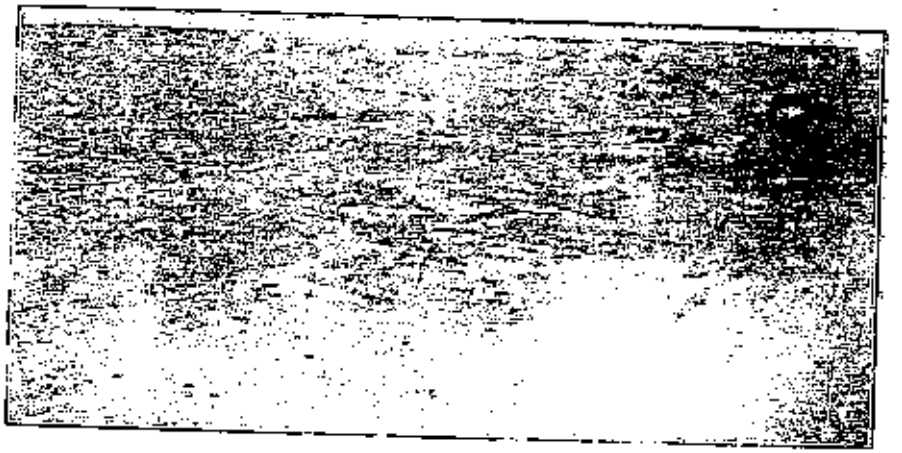

شاهد قبر في ديبا صورته وصورة ثلاثة (نحو سنة ٢٣٠٠ قبل المسيح
مقتطف ديسمبر ١٩١٨

المتجمعة . فرفا بنا كأنه قنة والظاهر انه اقدم من القبور التي فيها كوّى ولعله من عهد شعب دحل القبر المصري في اواخر الدولة السادسة وهو الذي ادخل المدافن المتجمعة

واجسام الموتى لم تكن تحنط حينئذٍ بل كانت تكفن بكفن سادج من نسيج الكتان وتدفن وكانت القوارير التي تدفن معها سادجة من الخزف الاحمر النخين ولم تكن اشكالها كثيرة الاختلاف وكان الناس حينئذٍ فقراء فلم توجد في قبورهم حلى ثمينة او متقنة . والطرز الذي وجد فيها بيضاوي اسود وهو من الحجر ووجد فيها ايضاً بعض صفائح من العتيق

وبعض هذه القبور نبش في عهد الدولة الثانية عشرة واستعمل ثانية وحينئذٍ صار الناس يدفنون مع موتاهم حجارة من الجشت ونحوه من الحجارة الكريمة وحلى من الذهب والفضة المتقنة الصياغة . ووجد هناك رفات اموات من عهد الدولة السابعة عشرة ولكن لم يوجد فيها من الدور الحديثة

ثم عاد الى مدينة دندره شأنها الاول في عهد البطالسة والرومانيين فاعيد بناء هيكلها ونشأت المدينة الجديدة حولهُ واستلأت المقبرة القديمة بقبور حديثة بعضها حيث لا قبور قديمة وبعضها في القبور القديمة نفسها

قصر منف

اما منف (حيث ميت رهينة الآن) فتختلف عن دندرة . فان البحث في دندرة عن القبور واما في منف فعن آثار المدينة القديمة التي قامت وخربت مراراً وكانت تبنى كل مرة على انقاض ما تقدمها . انشئت عشرات الملوك في اوائل نحو ٣٠٠٠ سنة والآن يصل ماء النيل وقت التحاريق الى قرب اسفل المباني التي بنيت في عهد الملك مرنبتاح بن رعمسيس الثاني الذي يرى تمثالهُ ملقىً هناك . ثم تراكمت انقاض المدينة بعضها فوق بعض بما حل بها من الدمار من وقت الى آخر حتى تكون منها اكمة ارتفاعها ١٥ متراً فوق الاراضي الزراعية المجاورة لها . وعلى هذه الاكمة بنيت المدينة الرومانية وهي آخر ما بني هناك . ولكن المدة بين الملك مينا والملك مرنبتاح كالمدة بين مرنبتاح والعهد الروماني ولذلك فقد تكشف آثار قديمة تحت حد مياه التحاريق كالآثار التي كشفت نوقة . والبلوغ الى ذلك عمل شاق يقتضي زمناً طويلاً ونفقة كثيرة للحفر ونزح المياه

وقد تمكن الباحثون من تتبع جامعة نسلفانيا في هذه السنوات الاربع من نقب مساحة واسعة الى حد الماء فكشفوا الجناح الشرقي من قصر الملك مرنبتاح ولم يكتشفوا له حتى الآن الا بابًا واحدًا وهو في جهة الغرب فيدخل منهُ الى الحوش الكبير. ولما كان الهيكل العظيم هيكل فتاح الى شمال القصر فينتظر ان يكون الباب الاكبر في الجهة الشمالية من هذا الجناح

اما الجزء الذي كشف حتى الآن فهو حوش او صحن كبير مرصوف بالبلاط يطيف به من داخله رواق مسقوف قائم على اعمدة تيجانها كازهار البردي كانت مغطاة بالكتابات المحفورة فيها والنقوش الملونة. وفي الجدار الجنوبي من هذا الحوش باب كبير كانت الكتابات المنقوشة عليه مغطاة بطلاء من الخزف المدهون وبعضها مغطًى باوراق سميكة من الذهب. ويدخل منهُ الى دار الانتظار وسقفها قائم على اثني عشر عمودًا مرصعة ومذهبة. ويدخل من هذه الدار بباب بديع النقش الى دار الاستقبال حيث عرش الملك وهناك يستقبل الملك السفراء الذين يفدون عليهِ وكبار رجاله والذين يحق لهم ان يمثلوا بين يديهِ. وطول هذه الدار ٢٥ مترًا وسقفها قائم على ستة اعمدة متقنة النقش وجدرانها مذهبة ومغطاة بنقوش بديعة الالوان وفيها ستة ابواب غير الباب الاول وكلها مغطاة بالنقوش المذهبة. وفي الجهة الجنوبية منها دكة من الحجر يرصل اليها على سطح مائل حيث كان الماثلون بين يدي الملك يصعدون لتقديم واجب التحية. وعلى جانبي الدكة ساسان صغيران لصعود الملك ونزوله. والدكة كلها مغطاة بنقوش بارزة فيها صور الشعوب التي حاربها الملك وتغلب عليها كالسامين والسردينيين والليبيين والزنوج والعرب. وقد كان العرش على هذه الدكة ولكنهُ زال لما احترق القصر بعيد وفاة مرنبتاح.

ووراء دار الاستقبال غرفة يستريح الملك فيها وغرفة ينام فيها وحمام يغتسل فيهِ والى شمال الحوش باب آخر يفتح الى دار صغيرة وهو كثير النقش والزخرفة وقد وجد في هذه الدار القاضي المصري الذي كان مبنيًا فوقها حيث كان الملك يقف حينما يشرف على رعيتهِ لتراه. وامام المدخل حوش آخر مرصوف بالاجر تتصل بهِ المطابخ والمخازن. وقد كشف كل الجانب الشرقي من هذا الجناح وهو نهاية القصر من تلك الجهة واما الجانب الغربي فالعمارة متصلة بهِ الى بعيد

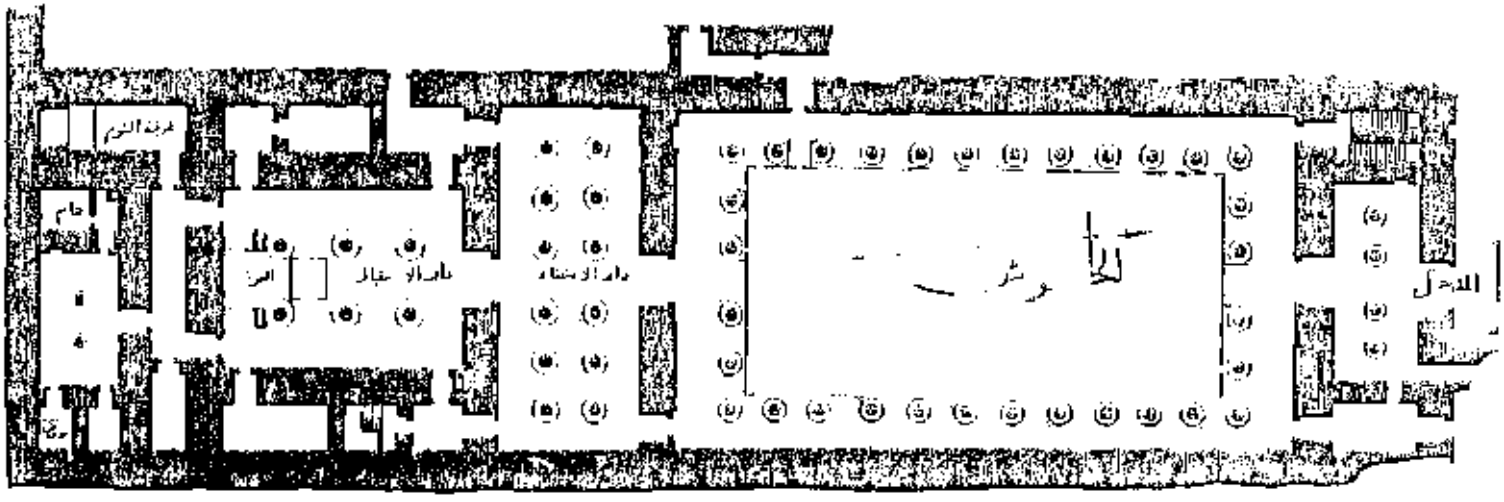

رسم قصر الملك مرنبتاح في منف

منتطف دسمبر ١٩١٨

امام الصفحة ٥٥٦

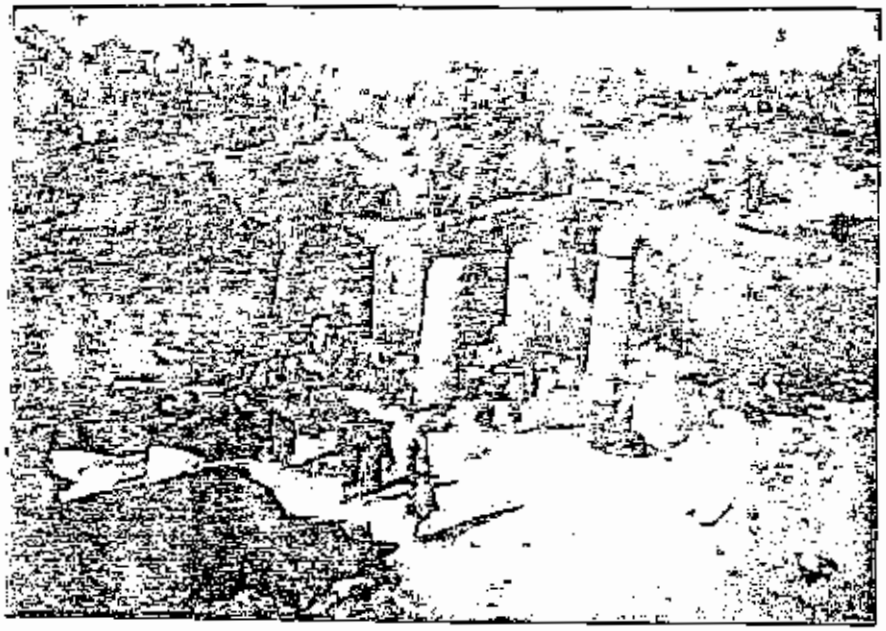

باب لحوض الكبير من قصر ملك مرتاح

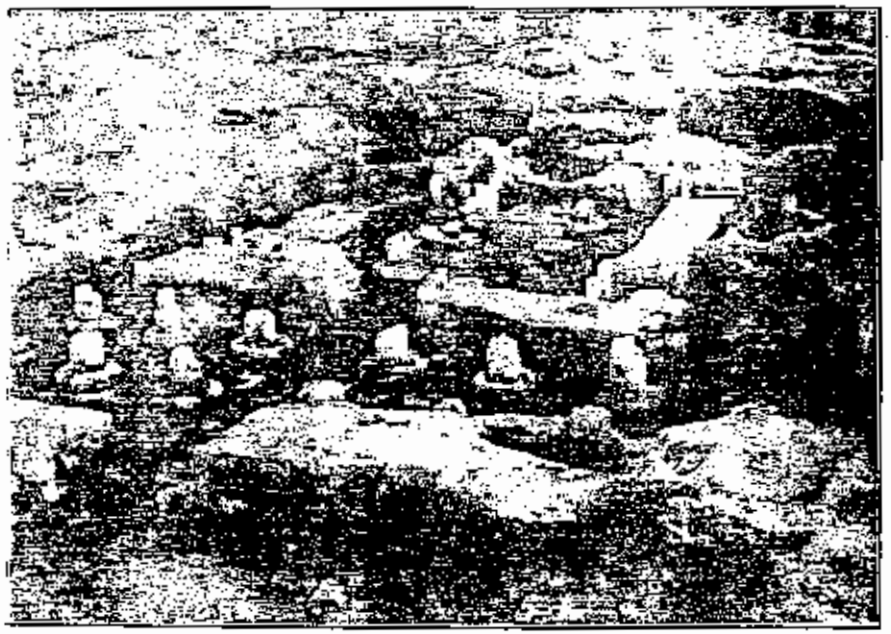

آثار لحوض الصغير و لمحرن